العدول فی الأفعال و فوائده

محمد ابراهیم عبد السلام☆

الحمد لله الذی شرفنی بأن أکون طالباً لهذه اللغة الشریفة و کرمنی بحبها لأنها لسان وحی الله تعالیٰ ولسان نبیه الکریم ، وأصلی و أسلم علی أسمی الخلق منطقاً و أفصحهم کلاما و رضی الله تعالیٰ عن آله وأصحابه أجمعین و بعد:

فأود هنا أن أقدم بین یدی القراء منهج البحث فی هذه الدراسة لبعض الأسرار و الفوائد التی تضمنتها هذه الظاهرة فأقول:

ورد العدول لغرض التوکید و التوسع ،والمجاز ، والمشابهة ، والتقارض، والإشتراک و البلاغة و تبین هئیة الفعل واستحضار صورته ، ولإفادة تحقق و قوع الفعل ، ولإثبات الیقین و للتعظیم و تفخیم البیان.

المبحث الأول : عدولات الماضی:

ا. العدول عن الماضی إلی المضارع: عدلت العرب عن الماضی إلی المضارع لعرض بلاغی: قال ابن القیم الجوزیة: "قصرت العرب بالإخبار عن الفعل الماضی بالمستقبل لأن الإخبار بالفعل المضارع إذأتی به فی حالة الإخبار عن وجود کان ذلک أبلغ من الإخبار بالفعل الماضی و ذلک لأن الفعل المضارع یوضح الحال التی یقع فیه و یستحضر تلک الصورة حتی کأن السامع یشاهد ها ولیس کذلک الفعل الماضی "وقال ایضا: "الفعل المضارع إذا أخبربه عن

.....

☆ محاضر اللغة العربیة، الجامعة الاسلامیة العالمیة، اسلام آباد

الماضي فإن الغرض بذلك تبيين هيئة الفعل واستحضار صورته ليكون السامع كأنه يعاينها و يشاهد ها (١)ومن ذلك قوله تعالىٰ ﴿و اتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان﴾ (البقرة ١٠٢) "تتلوا" هو مضارع فى معنى الماضى أى ما تلت أو ما تلته الشياطين على ملك سليمان.

و منه قوله تعالىٰ ﴿ففريقاً كذبتم و فريقاً تقتلون﴾(البقرة ٨٧) و معناه : و فريقاً قتلتم : أتى بفعل القتل مضارعا ، لأن التعبير بالمضارع يفيد ذلك دون الماضى وذلك لسببين : لأن الأمر فظيع فأريداستحضاره فى النفوس و تصويره فى القلوب. و قيل : يجوز أن يكون القول فى ها تين الآيتين حكاية حال ماضية . (٢)

و منه ايضا قوله تعالىٰ ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فتصبح الأرض مخضرة ، إن الله لطيف خبير﴾(الحج ٦٣)

فعدل عن لفظ الماضى ها هنا إلى المضارع فقال ﴿فتصبح الأرض مخضرة﴾ و ذلك لإفادة بقاء أثر المطرزماناً بعد زمان . و قيل : عدل عن الماضى إلى المضارع إرادة لتصوير اخضرار ها فى النفس(٣)

كما قيل فى قوله تعالى﴿ولو ترى إذا المجرمون ناكسوا رؤوسهم﴾(السجدة ١٢)

وقوله تعالىٰ ﴿ولو ترى إذا فزعوا فلا فوت ﴾(سبا ٥١)

أراد: "ناكسوا" و "فزعوا" و جاء فى القرآن الكريم فى صيغة الماضى مع حدوثه فى المستقبل فى الآيتين و إنما جاز ذلك لأن ما كان فى القرآن من وعد و وعيد و ما فيه فهو حق كأنه عيان فجرى الكلام فيما لم يكن بعد منه مجراه فيما كان،لما كان المستقبل فى إخبار الله تعالىٰ لتحقق وقوعه كأنه ماضٍ و هو منتظر لصدقه فى المعنى وإنه لا مكذب له(٤)

و مثله قوله تعالىٰ ﴿إنى أرى فى المنام أنى أذ بحك﴾(الصافات:١٠٢)

معناه إنى رأيت فى المنام أنى أذبحك أو تكون حكاية حال ماضية. ومثله قول الشاعر :

و انضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون اخادم ذبائح

فوضع يكون فى مو ضع كان

ومنه أيضا قول الشاعر:

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر و حسن فعل كما يجزى سنمار

اراد كما جزى سنمار، موضع المستقبل مو ضع الماضى

و مثله أيضا قول الشاعر:

و لقد أمر على اللئيم يسبنى فمضيت ثمت قلت لا يعنينى

قيل : إن "أمر" قد وضع موضع مررت.(٥)

ألمبحث الثانى : عدولات المضارع

١- العدول عن المضارع إلى الماضى:أحيانا يخبر بالماضى عن المضارع و ذلك لغرض بلاغى ، كما قال ابن القيم: "الفعل الماضى إذا أخبر به عن المضارع الذى لم يوجد بعد كان أبلغ وأكد و أعظم موقعا و أفخم بيانا لأن الفعل الماضى يعطى من المعنى أنه قد كان و جد و صار من الأمور المقطوعة بكونها وحدوثها"

وقال ايضاً "الفعل الماضى يخبر به عن المضارع إذا كان الفعل المضارع من الأشياء الهائلة التى لم توجد والأمور المتعاظمة التى لم تحدث فتجعل عند ذلك فيما قد كان ووجد ووقع الفراغ من كونه و حدوثه".(٦)

و ذلك فى قوله تعالىٰ ﴿و يوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات

ومن فى الأرض﴾(النمل ٨٧)أراد "ففزع" بلفظ الماضى بعد قوله تعالىٰ "ينفخ" وهو مستقبل للإشعار بتحقق الفزع و ثبوته و أنه كائن لا محالة واقع على أهل السموات والأرض لأن الفعل الماضى يدل على وجود الفعل بكونه مقطوعاً به. و قيل : و عبر هنا بالماضى و إن لم يقع إشعارا بصحة و قوعه و أنه كائن لا محالة و لهذه الفائدة وضع الماضى مو ضع المستقبل (٧)

و من هذا قوله تعالىٰ﴿ و برزوالله جميعا﴾(إبراهيم ٢١) "فبرزوا" بمعنىٰ يبرزون يوم القيامة و إنما جيئى به بلفظ الماضى لأن ما أخبر الله به لصدقه و صحته فإنه قد كان ووجد . و قيل : ورد بلفظ الماضى و إن كان معناه الاستقبال لأن كل ما أخبر الله تعالىٰ عنه فهو صدق و حق. فصار كأنه قد حصل و دخل فى الوجود.(٨)

و مثل ذلك قوله تعالىٰ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ (النحل ١)"فأتى" ها هنا بمعنى يأتى و إنما حسن فيه لفظ الماضى لصدق إثبات الأمر و دخوله فى جملة مالابد من حدوثه ووقوعه فصار يأتى بمنزلة أتى و مضى . وهو بمنزلة أتى الواقع و إن كان منتظراً يقرب وقوعه . وقيل عَبَّر بالماضى عن المضارع لقرب وقوعه و تحققه و فى ذلك وعيد للكفار(٩).

و مثله قوله تعالىٰ﴿و نادى اصحاب الجنة أصحاب النار﴾(الأعراف ٤٤)عبر بالماضى عن المستقبل لتحقق و قوعه .وقيل : لأن ما أخبر الله به كائن فجرى المستقبل مجرى الماضى الذى تحقق وجوده و كذلك يجعل المستقبل الذى لا بد عن كونه بلفظ الماضى دلالة على التحقيق ، كما هو معروف بالشرط و جزائه أن يكون بالمستقبل . قال ابن القيم : المشهور أن الشرط والجزاء لا يتعلقان إلا بالمستقبل فإن كان ماضى اللفظ كان مستقبل المعنى

كقولك "ان مت على الإسلام دخلت الجنة" والأصل إن تمت مسلماً تدخل الجنة فغير لفظ المضارع إلى الماضى تنزيلاً له منزلة المحقق.(١٠)

و مثله قوله تعالىٰ فى جواب الشرط ﴿و لئن ارسلنا ريحاً فرأوه مصفراً لظلوا من بعده لكفرون﴾ (الروم ٥١) قيل : معناه : ليظلن . و قيل : حسن و قوع الماضى فى موضع المستقبل لما فى الكلام من معنى المجازاة و المجازاة لا تكون إلا بالمستقبل. وقيل : هو ماضى من حيث اللفظ مستقبل من حيث المعنى لأن الشرط قيد فيه و هى فى معنى ليفعلن .(١١)

قوله تعالىٰ ﴿و إذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس﴾ (المائدة ١١٦) . فقيل : المعنى قال الله هذا الكلام فى ﴿يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾ (المائدة ١١٩) و حقيقته : يقول الله: و كذلك معنى إذ قال الله إذ يقول الله : و إنما حسن ايقاع الماضى فى موضع الآتى لأن الأمر القيامة لظهور براهنية و صدق المخبر به بمنزلة ما وقع و منه قول الشاعر:

شهد الحطيئة حين يلقى ربه' أن الوليد أحق بالعذر

اراد : يشهيد . و قول الشاعر:

ثم جزاه الله منا إذ جزى جنات عدن فى العلا لى العلى

قيل : وضع إذ جزى موضع إذ يجزى . و منه قول الشاعر:

و إنى لآتيلم تشكر ما مضي من الأمر و الاستيجاب ما كان فى غد

أراد ما يكون . و الأمثلة كثيرة فى هذالمجال.(١٢)

٢. العدول عن المضارع إلى الأمر:

مثال ذلك فى قوله تعالىٰ ﴿قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا﴾ (مريم ٧٥) و تقديره : قل من كان فى الضلالة يمدد له الرحمن مداً أو مد له

الرحمن مداً "قيل : توكيداً للخبر لأن الأمر باللام يجاب فيشبه الخبر به في إيجابه".

ومثله قوله تعالىٰ:

﴿ اتبعوا سبلنا و لنحمل خطا ياكم ﴾(العنكبوت ١٢)تقديره : اتبعوا سبيلنا و نحمل خطا ياكم .

ومثله قوله صلى الله عليه وسلم: (إذ الم تستح فاصنع ما شئت)

قيل : فإن هذا صورته صورة الأمر و معناه معنى الخبز المحض أى من كان لا يستحى فإنه يصنع ما يشتهى و لكنه صرف عن جهة الخبرية إلى صورة الأمر لفائدة بديعة و هى أن ا لعبد له من حياته أمر يأمر بالحسن و زاجر يزجره عن القبيح ومن لم يكن من نفسه هذا الأمر لم تنفعه الأوامر .(١٣)

عدولات الأمر

العدول عن الأمر إلى المضارع: ذلك في قوله تعالىٰ﴿تؤمنون بالله و رسوله و تجاهدون في سبيل الله باموالكم و انفسكم ﴾ (الصف ١١)قيل : في تؤمنون ، هو خبر في معنى الأمر.

و قيل : معناه ﴿آمنوا بالله و رسوله وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم و أنفسكم﴾ ولذلك أجيب بالجزم في قوله تعالىٰ﴿يغفرلكم ذنوبكم و يدخلكم جنات﴾(الصف ١٢)قيل : للإيذان الا متثال وكأنهاامتثل فهو يخبر عن إيمان و جهاد موجودين.

و نظيره قول الداعى : و يغفرالله لك. فجعلت المغفرة لقوة الرجاء كأنها كانت ووجدت. ومثله قول الشاعر على إضمار لام الأمر:

محمد تفد نفسك كل نفسٍ إذ ما خفت من أمر تبالا

قيل : أراد : لتفد نفسك فحذف اللام. و مثله قول الشاعر:

قلت لبواب على بابها تأذن لى إنى من أحمائها

يريد، لتأذن. (١٤)

و مثله أيضا قوله تعالى﴿والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين﴾(البقرة ٢٣٣)

و قيل : يرضعن خبر معناه الأمر على الوجوب لبعض الوالدات وعلى جهة الندب لبعضهن . و قيل : هو خبر عن المشروعية . و قيل : هذا الكلام و إن كان فى اللفظ خبراً إلا أنه فى المعنى أمر . وقيل : أن يكون معنى يرضعن ليرضعن إلا أنه حذف اللام لتعرف فى الكلام مع زوال الإبهام.(١٥)و مثله قوله تعالى﴿والذين يتوفون منكم و يذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر و عشراً﴾ ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروءٍ﴾(البقرة ٢٢٨،٢٣٤) قيل معناه : يتربصن: وقيل : هذه الآية فيها معنى الأمر(١٦)

العدول عن الأمر إلى الماضى

ذلك فى قوله عمر رضى الله عنه "إذا وسع الله عليكم فأوسعوا " صلى رجل فى إزارورداء ، فى إزار و قميص، فى إزار وقباء.

قيل : ورد الفعل الماضي بمعنى الأمر و هو صلى والمعنى ليصل رجل ومثله من كلام العرب : أتقى الله امرؤ و فعل خيراً يثيب عليه . و المعنى ليتق و ليفعل.

ولكونه بمعنى الأمر جىء بعده بجواب مجزوم كما يجاء بعد الأمر الصريح و أكثر مجىء الماضي بمعنى الطلب فى الدعاء .

نصر الله من والاك و خذل من عاداك.

ونظيره قول النبي صلى الله عليه وسلم:

(تصدق امرؤ من دينارہ من درهمه من صاع بره من صاع تمره)(١٧)

الهوامش

١- كتاب الفوائد المشوق لابن القيم الجوزى، ٣٢/٣٣

٢- نفس المرجع، ص٣٣ ؛ البحر المحيط، ١/٣٠١ ؛ الإشارة ٣٨؛ الفخر الرازى، ٣/١٧٨؛ الكشاف و حاشيته، ١/٢٩٥

٣- حاشية الكشاف، ١/٢٥ ؛ الكشاف، ٣/٢١ ؛ الفخر الرازى، ٢٣/٦٢؛ البحر المحيط، ٦/٣٦٥

٤- الهادى فى الإعراب إلى طرق الصواب لابن القبيعى، ١٠٦؛ البحر المحيط، ٥/٤٤٤ ؛ الطبرى، ١٤/٢، ٣؛ القرطبى ٢١٠

٥- الإشارة ٣٩_٢٧ ؛ الأمالى الشجرية، ١/٤٥، ١٠٢، ٣٠٤؛ الخزانة، ١٠/٣٢٣، الكتاب، ٣/٢٤ ؛ الخصائص، ٣/٣٣٠، ٣٣١

٦- الفوائد المشوق، ٣٢_٣٣

٧- الفوائد المشوق، ٣٢ ؛ الفخر، ٢٤/٢٢٠ ؛ الكشاف، ٣/١٦١؛ البحر، ٧/٩٩ معانى القرآن للفراء، ٢/٣٠٠_٣٠١

٨- الفوائد المشوق، ٣٢ ؛ الكشاف، ٢/٣٧٢ ؛ الفخر، ١٩/١٠٧ القرطبى، ٩/٣٥٥ ؛ البحر، ٥/٤١٦

٩- الفوائد المشوق، ٣٢، الكشاف، ٢/٣٧٢؛ والفخر، ١٩/١٠٧ القرطبى، ٩/٣٥٥ ؛ البحر، ٥/٤٧٢ ؛ الإشارة ٣٨

١٠- البحر، ٤/٣٠٠ ؛ والهادى فى الإعراب ١٠٦، ١٠٧؛ الإشارة ٣٨؛ بدائع الفوائد لابن القيم، ٤٤/_٤٥

١١- الفوائد المشوق، ٣٣ ؛ الكشاف، ٣/٢٢٦ ؛ الجامع ١٤/٤٥؛ البحر، ٧/١٨٠، ٤٣٠؛ الإشارة ٣٨ ؛ الكتاب، ٣/١٠٨؛ مشكل إعراب القرآن، ٢/١٨٠ ؛

سرالصناعة ٣٩٨ ؛ الهادى فى إعراب القرآن، ١١٠

١٢- الأمالى الشجريه، ١ ٤٥، ١٠٢، ٢٠٤ ؛ سرالصناعة، ١ ٣٩٨ ؛ الهادى فى الإعراب، ١٠٧

١٣- الفوائد المشوق ، ٣٤ ؛ الإشارة ، ٤٠ ؛ الأمالى الشجرية، ١ ٢٧٠ ؛ بدائع الصنائع ١ ١٤٤

١٤- الفوائد المشوق ٣٤ ؛ الكشاف ، ٤ ١٠٠ ؛ البحر، ٨ ٢٦٣ ؛ القرطبى ١٨ ٨٧، ٨٨ ؛ سر الصناعة، ١ ٣٩١ ؛ الإشارة ، ٣٩ ؛ الأمالى النحوية ١ ٩٤

١٥- الفوائد المشوق ، ٣٤ ؛ القرطبى، ٣ ١٦١ ؛ الكشاف، ١ ٣٦٩ ؛ الفجر، ٦ ١١٧، البحر ٢ ٢١١-٢١٢ ؛ بدائع الفوائد ١٠٤ ؛ الإشارة ، ٣٩ ؛ الأمالى الشجرية، ١ ٢٥٨

١٦- الفوائد المشوق ، ٣٤ ؛ البحر، ٢ ٢٢٢ ؛ القرطبى، ٣ ١٧٤ ؛ الإشارة ٣٩ الأمالى الشجرية، ١ ٢٥٧-٢٧٠

١٧- شواهد التوضيح لابن مالك، ٦٢-٦٣

المصادر

١- أسرار العربية لابن الأنبارى ، تحقيق محمد بهجة . دمشق

٢- الإشارة لعز الدين عبد السلام

٣- الأشباه و النظائر فى النحو للسيوطى ط/ ١ (الهند ، بيروت)

٤- الأصول فى النحو لابن السراج تحقيق د/ عبد السلام الفتلى ط/ ١ بيروت

٥- إعراب القرآن للنحاس، تحقيق د/زهير غازى، بغداد ، ١٩٧٧ م

٦- الأمالى الشجرية ط/ ١ حيدرآباد دكن . ١٣٤٩ هـ

٧- الأمالى النحوية لابن الحاجب ، تحقيق هادى حسن ط/ ١، ١٩٨٥م

٨- البحر المحيط لأبى حيان ، دار الفكر والعادة ط/ ١، ١٣٢٨ هـ

٩- بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية (المنيرية)

١٠- تفسير الطبرى لأبى جعفر الطبرى تحقيق محمود محمد شاكر ، دار المعارف

١١- التفسير الكبير لفخر الدين الرازى ط/ ١ ، بمصر

١٢- الجامع لاحكام القرآن للقرطبى مطبعة دار الكتب ، القاهرة

١٣- خزانة الأدب للبغدادى بو لاق ، مكتبة الخانجى و تحقيق عبد السلام هارون المطبعة السلفية

١٤- الخصائص لابن جنى تحقيق محمد على نجار ، دار لكتب بمصر

١٥- روح المعانى للألوسى (المنيرية)

١٦- سر صناعة الإعراب لابن جنى دار القلم ، دمشق ، تحقيق د/حسن هنداوى

١٧- شواهد التوضيح لابن مالك تحقيق محمد فواد عبد الباقى، مكتبه دار العربية

١٨- الفوائد المشوق لابن القيم الجوزية (السعادة)

١٩- الكتاب لسيبوية ط/ ٢ بولاق تحقيق عبدالسلام هارون ط/ ٣ على شرح السيرافى ط/بولاق

٢٠- الهادى فى الإعراب إلى طرق الصواب لابن القبيصى تحقيق د/العميرى